الشعر الأجنبي الحديث

بقلم هنري فريد صعب

الحديث عن الشعر الحديث ، يزلج عن كل تعريف جامع . زئبق هو ، لكنه لا يستقر في مستويات . لا وفقة للدهشة هنا ، تجاه قوس قزح واحد . فالالوان متشابكة ، الى حد انك لا تقوى على فسخها ، دون ان يشد بعضها ببعض .

شعراء عصرنا احرار بصفاء . لا قيد على مقاييسهم . همهم في الاغلب ، ان يخلقوا ، ان يشاركوا الله على ضعفهم ، وان يحبلوا بالعجائب كما الكلمة الاولى على وجه الارض. ولا شأن لهم بعد ، بتقاليد الادب والعلم والفلسفة والمجتمع . وان شد احدهم ، فانك تبصره يغني بلهاة ، تظل غريبة ، مهما يحاول ان يطوعها في القوالب . ذاك ان القصيدة الحديثة ، لا تشعر بمركب النقص ازاء جميع المعارف الانسانية . انها لم تعد تسترضعها. بل تنافسها . وغالبا ما تربح . ثم تجود عليها بلا دل ومن كمادة منافستها. اذ القصيدة الحديثة لا تطلب محبين او متملقين او متعصبين لها . لانها تقلد الخالق في عمله. والخالق لا يسألك ، كيف تفضل ان تكون او لا تكون .

الشعر الحديث ، كف عن اعتباره كتابه ، وسيلة ، وكيفية . انه قانون حيوي ، انه مشترع لقوانين مجهولة . انه مبدع لغة .

وفي الصفحات القليلة التالية ، سأحاول بقدر ما يسمح المجال ، ان ادرس شعر كل من الاداب الخمسة التي نتفاعل معها في الوطن العربي . وهي بنظري : الفرنسية ، والانكليزية والاميركية الشمالية واللاتينية ، والاسبانية . هذه الاداب ، التي تصدر الشعر الحديث الاجنبي كله في الوقت الحاضر . وبعضها منذ اجيال ولا يزال .

١ ـ الشعر الفرنسي الحديث

يحضرني في مطلع حديثنا عن الشعر الفرنسي ، رأي للشاعر الانكليزي « ستيفن شبندر » يكاد يكون كل الصحة ، في بعضه.

ذكر « سبندر » « ان من خصائص هذا الشعر ، التوثب والدينامية . وذلك لتفاعله مع الفنون الاخرى : الرسم ، التصوير والنحت وما الى ذلك . وان القصيدة الفرنسية تهتم بالشكل اكثر من اهتمامها بالمضمون . انجاه ما زالت تحافظ عليه منذ اكثر من مائتي سنة . وهي تجمح اما الى الشكلية الخالصة او الى اللاشكلية والفوضى » ..

لم يلفظ « سبندر » هذا الحكم على سبيل المدح ، وانما لابراز نقيصة في زعمه .

غير اننا ، لو تعمقنا في البناء الشعري من الاساس ، لوقفنا على ان الشكل هو جوهر الشعر ، وان الكلمة ـ الدهشة هي جوهر الشكل . وكلاهما يؤلفان عمارة الشعر الفرنسي .

انا لا انفي المضمون ، لكني اؤخره عن الشكل في الشعر . وما المدارس الشعرية الا حبليات الشكل بضروبه .

ويعجبني قول « بيير جان جوف » في يومياته « في المرآة » : « ان الشعر مبني على الكلمة ، على التوتر المعضى بين الكلمات، على اسرار تآلف الافكار والالوان، بين الذكريات، والتأثرات والرغبات التي تهيجها الكلمات ، واخيرا ، سأجرؤ على القول ، ان الشعر مبني على القدرة الخفية لخلق الشيء في الكلمة».

هذه القدرة الخفية ، من اولى فضائل الشعر الفرنسي ، التي راح يوزعها على العالم . ونقولها بدون مبالغة او تحيز .

واني اثناء جولاني الدائمة الطويلة في رحاب الشعر العالمي ، قلما صادفت ادبا ، لم يلقح من قريب او بعيد ، بمصل العبقرية الفرنسية .

وكثيرة هي الاداب التي تشبه كتابها وشعراؤها بنوابغ فرنسا ، عندما تريد ان ترفع فوق رؤوسهم هالة المجد والتكريم .

امام عظمة هذه العمارة العجيبة ، لا بد للداخل اليها ، من التساؤل عن كيفية كبسها في دراسة قصيرة دون اجحاف .

***

ان ما يجبهنا لاول وهلة، عندما نجوب افاق الشعر الحديث ، هو التنوع الغريب ،وبمعنى ادق ، كثرة التحالف والتعايش ، اللذين يلحمان النثر والشعر، والالحادية والصوفية. ولعل الشعر ، في مقدمة الكشف الإنساني ، المكان المتميز بالتناقض .

والشعر الحديث ، هو تعبير عن ازمة الشعور في الواقع . فهو من جهة يرفض العالم ، او يختبره كلاحقيقة ، او يضع المطلق في الماوراء حيث الموت او الجنون ، او حيث الاعجوبة الشعرية التي تجمعهما ، وتقلدهما بالايماء ، تستطيع وحدها الوصول . ومن جهة اخرى ، يرتمي لافتتاح العالم الخارجي، ويقتحمه ، ويسكر به في غضب، مبتدعا اشكالا جديدة ، بدل ان يحبس الواقع في اشكال سابقة وجودا .

هذا الدفق العصري ، الذي لم يكتسح الاجواء الشعرية وحسب ، بل تعداها الى الرواية . هذا الغزو الفائر ، سوف تريده السريالية ، بكل قواها ، في هذا العصر .

اما الرمزية التي كانت اكبر حدث في اواخر القرن التاسع عشر ، فقد تضاءل مفعولها . وان كانت قد امتدت بعيدا في القرن العشرين، فليس باعتبارها مدرسة مشعة على الخارج، وانما لان الشعراء ، الذين ولدوا ما بين ١٨٧٠ و ١٨٩٠ كانوا موسومين بها ، في أوجه مختلفة .

على ان الشعراء المحدثين ، لا يمكن تنزيلهم في حلقات . فكل يعمل بطريقته . وبنبرة خاصة . فمعرفة الحرية ، هي بجلاء ، مادة الشعر الحديث الاولية . ولكن ما من شك ، في ان الرمزية وخصوصا السريالية هما في عدسة كل شاعر معاصر مهما حاول الاستقلال. ولولا هاتان المدرستان لما كانت الكلمة ـ الدهشة التي هي جوهر الشعر الحديث، وكل شعر حق . كذلك ، ما من شك ، في ان السريالية اليوم ، هي في كل مكان : في السينما ، والمسرح ، والاعلانات ... حتى الاحداث قد اتخذت صبغة سريالية ، كما هبت على العلم ايضا والتاريخ ، زوبعة سريالية من المفاجأة والتقدم .

والكلام عن السريالية ، يجرنا حتما الى زعيمها الكبير ، « اندريه بريتون » ، الذي لم يخنها حتى الساعة ، بخلاف الذين تربوا في احضانها .

أندريه بريتون : André Breton

بعض النقاد يرفضونه شاعـــرا كبيرا ، ويحصرون اهميته في بيانه عن السريالية ، وكتابه النثري « نادجا » . بينا شعره يرشح بمذاق كل شعر عظيم . وذاك ان شهرتـــه كواضع نظريات وناقد ومفلسف فكرة ، كادت تطغى على شخصه .

ولولاه ، بحضوره الدائم ، وشدده القاطع، لغدت السريالية الثائرة ، جيفة تنحلل . اما سرياليته ، فتختلف عن تلك الشائعة، المستعملة، التي ظن الشعراء انهم اساغوها . فـــوراء استكشاف الوعي المظلم ، وانجاز لوحات ، او قصائد تائهة غير مرافبة ، طموح لمعرفـــة بغير حدود ، وفوز بالدرجة العليا ، حيـــث الموت ، والحقيقي ، وفوق الحقيقي ، فـــي اختلاط متداخل .

المعرفة ، في نظر « بريتون » هي اكثر من المعرفة ، والرغبة اكثر من الرغبة ، والشعر اكثر من الشعر . الغاية ليست في السحر، والتاثير باستخدام التحليل والمنطق ، وانمـــا بالعكس، في تزويج حقائق تظهر وكأنها تتنافى. ان على الشاعر ان يقيم علاقات مع الكل. ومما يلاحظ بشدة ، ان « بريتون » هو احد الكبار بين شعراء الحب ، لا الحب الفاسق ، ولكن ذاك الذي يمجد المرأة ككائن عجيب . لان المرأة كالشعر بلا منتهى ، والحب « الهي » . فالعشق والسادية لا محل لهما في قاموس السريالية الاخلاقي :

« الشعر يحدث في سرير كالحب »
شراشفه المبعثرة ، فجر الاشياء
الشعر يحدث في الغابات (...)
والعناق الشعري مثل عناق الجسد
وبمقدار ما يدوم
يمنع كل حماقة نحو بؤس العالم .
من (قصائد)

ويجب الا ننسى مع ذلك ، ظهور كتابين هامين : « انبوب زهر النرد » و « دفـــاع طرطوف » بيـــن عامـــي ١٩١٧ و ١٩٢١ ، لـ « ماكس جاكوب » Max Iacob

هذا الشاعر يوضع في الصف الاول بين « مبتدعي » الشعر الحديث . انه يلعـــب بالصور والدقائق ، فيحيي عالمـــا مؤثرا ، ومشوها ، قريبا ، بتفاريقه وعلاماته ، من عالم الرسامين التكعيبي . عالما في حركة مستمرة، يصر صريرا ، في اضطراب ودعابة . عـــالما يصعب تحديده ولمسه في غرابته .

الشعر مع ماكس جاكوب ، ليس غيـــر نشيد متقاد ، مقهور ، واحيانا هـــو حوار مقطوع ، تعبره البروق والهروب والتلاعب بمعاني الكلمات . وقد كتب مرة « جاكوب » فقال : ان القصيدة ، هي مادة مبنية وليست واجهة جوهري .

اما السريالية من حيث هي لعب مهمـــل بالفكر ، وسلطة فائقة للحلم ، وهدم للالية النفسية ، فلم تلد غير اثار قليلة . اخلصها اثار « روبير ديسنوس » و « بول ايلوار » في اطلالته الاولى .

لقد حيا « اندريه بريتون » في بيانـــه (Manifeste du Surrealisme, 1924) الشاعر « ديسنوس » بهذه الشهادة :

« روبير ديسنوس » قد يكون الاقرب بيننا، الى الحقيقة السريالية . هذا الشاعر اثبت بكمال ، في اعماله وطوال اختباراته المتعددة، الامل الذي اضعه في السريالية . واني لانتظر منه الكثير » .

ولكن « ديسنوس » مات قبل ان يحقق كل ما ينتظره منه « بريتون » . بينـــا ظلت مجموعتاه على الاخص « اجساد وخيرات » و « ثروات » ترسلان حتى اليـــوم اضواء مشرقة . وشعر « ديسنوس » ذو نجـاوى غنائية ، بسيطة الجمال وغير منسية .

بول ايلوار : Paul Eluard

ان « اوجين غراندبل » ، وهـــذا اسمه الحقيقي ، هو عالم البلور بغير منافسة . عالم من الشفافية . كل ما فيه صاف ، تهجس في باله ، القوانين الاخلاقية ، والوضوح الطبيعي ، وجمود الاشياء وحركة البشر . وان كان « ايلوار » قد امكنه الاستغناء عـن السريالية . فهذه الاخيرة لم تقدر علـــى الاستغناء عنه . والظاهر ، ان « ايلوار » ، كان يتجاوز بلا هوادة ، السريالية ، رافضـا ان يكون الانسان مطرودا خارج الكلمات . والحب كان مملكته ، والحب ، الشعر ، كمـا عنون احدى مجموعاته :

« يجب ان يوجد وجه
يستجيب لكل اسماء العالم »

سوى ان هذا العالم لم يكن مهددا بغيـر الموت . وهذا مـا كان يشعل نقمة « ايلوار » واحتجاجه بدون تباطؤ او فتور .

كان صوتا فريدا ، خسره الشعر الفرنسي. كان ، اشبه بطائر « الفينيق » يسير مأخوذا بجميع الاشياء ، متحدثا الى جميع الكائنات. كذا كان « ايلوار » . فالسرير والطاولة ، والكلمات الممنوعـــة ، وبائعات البياضات المتجولات ، والاحلام المبتكرة، والجثث الساقطة، والاضرابات من اجلها ، والرايـــات العماليـــة التي تصفعها الريح ، والحياة ، والموت. كلها كانت مناسبة له ، كي يمر من افقه المحدود الى الافق الاوسع ، المولود في جميع الاحداق الانسانية .

« من افق الانسان الى افق الجميع » . هذا هو مذهبه . لكن هذا الافق الاوسع الذي ولجه ، افقده رقية الكلمة التي تمـــرق كالسهم .

بعد روائعه « الموت من عـــدم الموت » و « عاصمة الالم » و « الحياة المباشرة » بعد هذه الروائع ، اضاع قنديل علاء الدين في بئر الالتزام .

رينيه شار : René Char

يقسم القسم الاول من أعمال « شـــار » ، بالتزام مزدوج ، للسريالية المتعصبة ، ولاحداث عصره . انما ، بعد الصمت الذي حافظ عليه، منذ مجموعته « منشور لطريـــق التلامذة » (١٩٣٧) ، حتى « اوراق ايبنوس » (١٩٤٧)، تفجر شاعر اخر ، اخذ على عاتقه اكبر حصة للانسانية ، في عبارة شعرية ، هي القوة في انسياب .

ان « شار » شاهد مأساتنا، وشاهد الوضع الانساني بالذات ، مهما بدا منعزلا وبعيدا . ان لديه ، ضمير الحيـــاة المتألم ، ووعي « التجربة الهلاسية للانسان الموثق بالشر »، ووعي التاريخ الذي « يقضي علينا بالعيش بين الوعد والماضي » « في زمـــن اليأس الاقصى ، والامل من اجل لا شيء » . بيد ان، هذا التشاؤم ، الذي قطف في الالم والعبث المعاشين ، اثناء الحرب ، « في ظلماتنا حيث لا مكان للجمال » ، هذا التشاؤم لا ينتهي الى وقوف راكد وجدب ، بل الى تمرد ، الى رغبة « في تجاوز نظام الخليقة ورفع دم المآثر ».

وهكذا ، ينشأ في وسط قصائده ، حوار، حيث الصور القائمة تجاور الثقة . ومن جهة، « التوازن الذي لا يحرز ، الا على حســـاب العدالة » ، ومن جهة اخرى ، « الحب الذي يخدد ، افضل من المغامرة التي تذل » .

« ان الصفة الاساسية لهذا الشعر ، كما يرى « بيار دي بواديفر » هي عدم انفصاله

ابدا عن الحياة التي تحيط به، انه لا يشرحها، بل يبعثها (...) واذا كان تأثيره ومرتبته قد تعاظما ، فذلك لان « رينيه شار » ، يقرن الى لغة عالية وجميلة ، تفاؤلا آمرا ، يقربه من كتاب اخرين ، عاشوا مثلـــه العبث وتجاوزوه » .

هنري ميشو : Henri Michaux

يتساءل « غايتان بيكون » « عما اذا كـان « ميشو » شاعرا . اذ هو لا يتقدم الينـا بهذه الصفة . صحيح انه يستعمل وسائل الشعر الظاهرة ، لكنه يقترح علينا محتـوى مختلفا ذا فعالية خاصة . لذلك اضطـرت اناره الى الانتظار وقتا طويلا لكـي نسوغ للقراء الذين لا يهتم لهم كثيرا ، ولذلـك لا يمكننا ان نشك في عظمته من هذه الناحية ، لان الاثار الكبرى كثيرا ما تخيفنا ، بادىء ذي بدء ، بجسارتها : فاثار « ميشو » تضطرنـا الى اعادة النظر في مفهومنا للشعر ، فتوسع النخوم ، وتصدم التقاليد . انها تهدم لكـي تبني » .

ان « ميشو » شاعر لا يدرج في صف . وهو احد الكبار الذين لم ينتموا الـى اية مدرسة ، الا انه لم ينج من مفاتن السريالية.

نستقبلنا كتاباته بشكل « قطع بغير رابطة سابقة » . لكنها تؤلف مجموعة موحدة فـي داخل مفهومها ، تنبثق من العراك الحاد بينه وبين العالم « الكثيف » و « العدائي » . فـ « القوى » و « الظواهر التي تحيق به ، هي معتمة ، غير ملموسة ، وخادعة ، و«دائما تحت الماهية . »

العالم خائف . احشاؤه باردة . لا رمزيةفيه. بل عدم » .

سوى ان « ميشو » لا يستسلم الى يأسه او ضعفه . بل يشيد « تمرده » في وجهعداء العالم . انه لم يقبل سلوك التقاليد ، ولا ركاكة الجماعة . انه ضد هذا العالم . انه « يلفمه كلابا ميتة ». ويقذفه بحقده وغضبه.

سلامه الوحيد ، عمله . فهو عزيمته،واداة كفاحه ، وتحرره ، وتثبيته . وفيه ترتمي بلا تحفظ ، للبحث عن تربته العطاء .

« هنري ميشو » او « رفض الولادة » كما سماه الشاعر والناقد « آلان بوسكيه » فـي كتابه « فعل ودوار » . هو انسان الرفض الدائم لكل شيء . الى حد انه رفض منـذ اشهر ، جائزة الادب الكبرى ، تمشيا مـع اخلاصه لذاته .

جورج شحادة :

اذا سالت هذا الشاعر اللبناني الكبيـر الذي غزا فرنسا بادبه ، فعد من اشـرق شعرائها واصفاهم ، اذا سالته : ما هـي هويتك ؟ لاجابك بدون مواربة . انا سريالي.

قال « غايتان بيكون » : « لقد جاءنا من لبنان شاعر اظن انه مأهول بعبقرية شعرية حقيقية ، هو جورج شحاده . كل شيء يلمع عنده بندى بريء واصلي . ان شعره يشبه شفرة رفيقة ، لكنها لا تكسر . تسطع امامنا احيانا ، ببريق مستل من الاعماق الجوهرية حيث اعراس القلب البشري والبهاء ، تـم تحت رعاية الالهة » .

وحسبنا ان ينشد :

« المذاق الغريب لبديك
عندما تكون الابقار قرب البحر
انت سجينة صورتك الجميلة
لان البياض ، هو لون الصبر
ساكون في ذاكرتك
الجبال تشيخ وتتغطى بالاوزاق
وانت ستموتين
لانه يوجد شعر كثير في المادة » .

ولكن شحادة ، بعد « اشعار ١ و ٢ و ٣ » تحول الى المسرح الشعري فكان مـن رواد الطليعة . تحول ما كان عنده ليضحي المجاز بالحقيقة ، والكلمة بالعمل ، لان الكلمة فـي فهمه عمل ، والحقيقة تنبجس مـن الرمز ، والكلمات تركب الاشياخاص وتخلق المواقف . هناك ذكاء رشيق يتحرك فـي مسرحيات شحادة . وعلينا ان نستعير عينيه لندخـل في حديقة الشاعر .

سان جون بيرس : S. G. Perse

شاعر الازمة . حتى اني نقلت له مرة الى العربية ، في مجلة « الاداب لعام ١٩٦٠ » ـ العدد الرابع ـ احدى قصائده الطويلة : « مدائح » .

ان « ماري ـ رينيه الكسي سان ـ ليجيه ليجيه » المعروف باسم سان ـ جون بيرس ، هو اطلالة مادرة ، كما وصفته يوما ،متوحدة ابدا ، وغائبة ابدا ، تنقل الى الناس بصوت مقنع ، وبايماءة شبه مضاءة ، ايقاعات كبرى من الطبيعة والنفس والتاريخ ملأى بالقـوة والاسرار .

يشبه عمله ، سمفونية ذات اجزاء تتكامل. وبالرغم من الصنعة المحكمة التي تجمد عددا من الاشكال ، تظهر بعض المواضيع الاساسية: غزارة الحياة في كل تفجرها الارضي،وانبساط مشهد غني في الكون المخلـــوق ، وحالة هلاسية للتاريخ الذي يوحي للشاعر احيانـا حماسة الانساني ، واحيانا خلاص الفيلسوف من الوهم ، وعرفان السر امام القوة الكونية الكبرى التي لا نعلقها بالله . وباختصار، ان عمل « بيرس » ملحمة الانسان بابعاده .

ان طابع « بيرس » نسيج وحده .خاصته لا تقتصر على طينة القصيدة وصورها ولقاها وحسب . بل تنزع الى عطاء في حالةالصفاء، او اشبه ما يكون بلهجة نبوية تعكس ابعد من معناها المباشر .

يميزه كذلك ، استعمال حروف العطف في اول القصيدة ، والتعجب ، والندبة ، والنداء ، والاضمار ، والامر ، والمجهـول ، والضمائر الحيادية ، وتغيير صفة المكلم في وسط الوصلة الشعرية ، مما يزيد في سرعة ومد نفس القصيدة واحيائها .

جاء في كتاب «شاعرية سان جون بيرس» لـ « روجيه كايوا » : ان الصور غير المحصية، التي جمعتها الاجيال في ازمـــان طويلة متوحدة ، والتي تقاسمتها المسافات نقوشا وتصاوير عريضة عبر المقاطعات ، تشكل عند « بيرس » عالما واحدا لاول مرة . هوذا شاعر الجيل الاول كله . شاعر زمن حيث كلرسام يعرف كل الرسوم ، وكل فيلسوف يعرف كل المذاهب ، وكل شاعر يعرف كل الاشعار ، اي يعرف « هوميروس » و « مانيرب » و «كيفيدو» و « اوكان » و « فيـــون » و « بليك » و « باندار » و « نوفاليس » و « بوشكين » و « لوركا » ...

« سان جون بيرس » لا ينزل في مدرسة واحدة . وان اعتبره « بريتون » في بيانه : سرياليا عن بعد .

بيير جان جوف Pierre Jean Jouve

خير تعريف لشعر « جوف » ما كتبه في يوميانه « في المرآة » :

« يبدو ان شاعر هذه الايام ، يكتب بدمه : فانا لن العب اللعبة التي تتطلبون ، ولـــن اتملق ، ولن اتفق معكم ، لا بالـــذوق ولا بالفوائد العادية ، سأنهمك في الخلق ،عندما لا تريدون الخلق ، ساحمل الرسالة التي لا تشاؤون ان تسمعوها . ومنذ هذا الوقت ، فان موقف الصمت يشكل انكسارا روحيـــا اكثر شمولا » .

ان شاعر « عرق ودم » يرى ان الشعـر نوع من الفتح ، وانه المرحلة الاخيرة ليعالج

فيها المرء لغته وحياته ، في وقت واحد .

شعره عملي ، لا يتخلى عن الحياة.شعره مُنور ، مشحون بالرؤى ، فلا ينفذ الينا الا بعد جهد عنيد ، لانه هو جهد متابع من اجل ترميم عالم محطم .

يميز هذا الشاعر ، الطاقة الكامنة ، في استعماله للصورة الجنسية والدينية .وهو، فوق انه شاعر ، ناقد وروائي ومفكر .

« جوف » يقودنا من جديد ، في طريق بودليري جديد .

فرنسيس بونج : Francis Ponge

اما « فرنسيس بونج » الذي اشتهر بعد نشر مجموعته « الميل للاشياء » سنة ١٩٤٢ ، فهو شاعر المادة الاول . حتى انه لفت نظر « جان بول سارتر » فخصص له دراسة في «مواقف ـ ١ ـ» بعنوان : الانسان والاشياء.

« ان « بونج » قد كتب بنوع ما ، بعض قصائد رائعة ، بنبرة كلها جدة ، اوجدتها طبيعة مادية خاصة به . قد لا نعرف انتطلب منه اكثر . كما يجب ان نضيف ، ان تجربته هذه ، بخلفيتها ، هي من اغرب التجربات ، ويمكن ان تكون من اهمها في هذا الزمن . » هذا ، مما ذكره سارتر .

و بونج » كشاعر ، قد يحب وقد لا يحب. والارجح دائما انه لا يحب . الا ان تأثير اسلوبه على الرواية الحديثة جد واضح :

« في اخر الساق ، تتفتق خارج زيتونة
لينة من الاوراق ، حوصلة عجيبة من السابان البارد ،
مع تجاويف لظلال ثلج راسخ ، حيث يقيم ايضا قليل
من الكلوروفيل ، حوصلة ، ذات عطر يهيج داخل الانف ،
لذة حقيقية ، في طرف العطاس . »
من قصيدة (القرنفلة)

وتبعا للخط الذي اشده في حدود هذه الدراسة ، فاني سأكتفي بالذين نوهت بهم. بملحظ ان البافين ، مثل «ليون بول فارغ» الذي يقرب شعره الى الشعر الذي سبقه ، اي الى الرمزية الغاربة ، على نسق «فرنسيس جام » ، و « ميلوز » . ومثل « جول سوبر فييل » الذي تشبه قصائده كذلك ، من نواح عديدة ، قصائد الشعراء المنشودة قبل الحرب الاولى ، بصوت فيه من صدق الشاعرية والصفاء اللذين يحولان دون الحافه بالزمن الحاضر . و « بيير ريفيردي » الذي يكاد ينسى اليوم ، اذ لا يمهد شعره ، لمجال الذي يهتم بوضع الشعر العصري وبتطوره.و«لويس اراغون » الذي ابتدأ سرياليا ثم انحرف الى التزامه بتعمل وصنعة عارفة بليغة . و«جاك اوديبرتي» الذي يلهث خلف المعاني والبيان والعروض ، في سبحة من التمارين الشعرية الجيدة . و « بيير عمانوئل » الذي يساق ايضا « اوديبرتي » في حلبة الشكل البياني باجهاد وتصنع اوفر . و «جاك بريفير» الذي يفتقر الى النضج اللغوي وتكشف المخيلة ، وان كان ذا تفرد وشعبية . و « كوكتو » و « سندرار » و « لاربو » الذين لا ينتسبون الى جيل من استعرضت ، أن هؤلاء جميعا ، على الرغم من سطوع اضوائهم الباهرة ، لم يتركوا علامات جازمة في الشعر الفرنسي .

اما الشعراء الشباب ، فقد اطل منهم بسرعة ، « ايف بونفوا » بعد نشر مجموعته الاولى : « عن حركة دوف وجمودها » . ان الشعر الفرنسي الطالع .

الفن الشعري عنده ، كما في احدى قصائده :

« وجه منفصل عن اغصانه الاولى
جمال للخطر كله ، عبر سماء وطيئة »

او،كما في مكان اخر من مجموعته الجديدة « حجر مكتوب » :

« مجروفا كان النظر خارج هذا الليل .
جامدة كانت الايدي وجافة .
لقد غفرنا للحمى . فلنا للقلب
ان يكون القلب . وكان شيطان في هذه العروق
فهرب صارخا .
وفي الفم كان صوت حزين دام
ففسل واستعيد . »

« ايف بونفوا » او الهروب امام التعبير، حسب تحديد « آلان بوسكيه » ، يجسد النزوة الكبيرة للخوف من القول . انه يأمل في طبيعة الكلمة ، كجميع اسلافه اللامعين . انه يجرب نوعا من التغيير الجذري للكلمة . وكي يتهرب من فدرية الادراك التي تجعلنا « نترك بيت الاشياء » فهو يعيد التفكير « بالكينونة » في معنى وجودي ، «هوسرلي» انه يصرخ : العالم وجد ، ليخلق من جديد.

شعر « بونفوا » محكم ، وصعب غالبا . كأنه تمرس باطياب « بول فاليري » ، و « موريس سيف » Maurice Scève الشاعر الغامض المرموق في القرن السادس عشر .

ولا يسعنا ان ننسى «آلان بوسكيه» الناعر والناقد والروائي المعروف . و «جان كايرول» الشاعر والروائي . و « هنري بيشيت » الشاعر والمسرحي . و «ايميه سيزير» الشاعر الاسود . و « مالكولم دي شازال » و«لويس ماسون» الشاعر والروائي والمسرحي . و « اندريه فرنو » ، و « جان ڤرديو » ، و « ميشال لايريس ، و « جان غروجان » ، و « ماكس ـ بول فوشيه » ، و « رينيه لاكوت » .

ان هؤلاء يغنون باصوات متنوعة ، تساعد على استمرار النضرة في عصب الشعر الفرنسي العظيم .

٢ ـ الشعر الانكليزي الحديث

عندما كان الشاعر الانكليزي « و. ب. ييتس » ضيفا على مجلة « شعر » ، عام ١٩١٤ ، في الولايات المتحدة ، صارح مستمعيه بهذه الحقيقة : « حين افتح مجلة اميركية ، ارى عيانا ، كل ما ينهض ضده ، حيا في هذه الديار . وذلك ، ليس لانكم بعيدون عن انكلترا، وانما لانكم بعيدون جدا عن باريس . باريس التي جاءتنا منها تقريبا ، كل التأثيرات الفنية والادبية ، منذ « تشوسر » حتى ايامنا » . ـ وهي حال لا تصح على اميركا اليوم ، اذ عبرتها بعد زمن قليل من صدور الحكم للشاعر ييتس ـ .

صراحة وجيزة لاكبر شاعر انكليزي منذ « وردزورث » ، قد نغني عن المطولات .

انما الشعر الانكليزي الحديث تصرف بالعكس . لقد اتاه اللقاح الفرنسي هذه المرة ، عن يد شاعرين اميركيين هما : « ازرا باوند » و « تي . اس . اليوت » .

صحيح ان لمدرسة الميتافيزيين الانكليزية في القرن السابع عشر ، وللشاعر « جيرارد مانلي هوبكنز » وللناقد والمفكر « تي. أي. هيوم » فضلا على الحركة الشعرية العصرية. الا ان المحرك الديناميي الاول كان مع ذلك ، ازرا باوند ثم اليوت .

كتب يوما « اليوت » في سياق كلامه عن « التصويرية » ، وهي مدرسة تعهدها «باوند» في عمرها القصير ، وكان لها فعل ملحوظ في الشعر الحديث ، من حيث طلبها للعناء ، والصفاء ، والدقة ، واصرارها على الامانة للظواهر ، ونبذها للانفعالية ـ كتب «اليوت»: « الشاعر الوحيد والناقد الذي عاش بعد التصويرية ، كي يتطور على نحو اوسع ،انما هو « باوند » شاعرا وناقدا ، الذي كان له

وحده على الارجح ، اعظم تاثير ادبي في هذا العصر ، حتى الوقت الراهن ... »

اما « اليوت » بالذات، فهو القطب الافوى، الذي هضم بحدة من ذكاء نادر ، اغذية الهبات الفرنسية ولا سيما الرمزية التي كانت ، حسب اعترافه ، الشعر بعينه،وتعاليم « باوند » وتحليلات علم النفس الحديث ، والفلسفة ، والفيلولوجيا الهندية والسنسكريتية ، والانتروبولوجيا ، والفكر الاغريقي . ثم عصرها في رؤية شعرية من الذاتية والجدةوالتآلف والوحدةوالاستمرار. وفي دائرة ، حيث كان اسلافه لا يبحثون الا عن القشور والمعجب والفوائد اليسيرة،اسس معنى العظمة والجاذبية .

وان ننس لا ننسى الشاعر الايرلندي « ييتس » الذي لا ينكر قبسه في ميدان البعث الجديد .

وكخاصية لهذا الشعر ، لا اجد افضل من تكملة حديث « ستيفن سبندر » الذي اشرنا اليه سابقا . يرى سبندر ، « ان القصيدة الانكليزية تقوم على المضمون . الشكل ضروري فقط كوسيلة . والسبب الذي ادى الى هذا الاتجاه يعود الى النقد . النقد عندنا يرتكز على المادة الشعرية ، أي على ما يعبر عنه الشاعر وليس على كيفية التعبير » .

ولعل هذه الابيات لاليوت من احدى رباعياته « ايست كوكر » قد تعطي صورة عن الصعوبات والهموم التي تلاصق الشعر المعاصر :

« ها اناذا ، في وسط الطريق ، وقد قطعت
عشرين عاما
عشرين عاما ، ذهب معظمها سدى ، اعوام
«ما بين الحربين » —
محاولا ان اعلم كيف استعمل الالفاظ،وكل
محاولة
هي بدء جديد تماما ، ونوع اخر من الخيبة
لان المرء قد تعلم فقط كيف يستولي على
الكلمات
ليعبر عما لا يريد ان يقوله بعد ، او الطريقة
التي
لم يعد يرغب في ان يقول بها . وهكذا كل
مخاطرة
انما هي شروع جديد ، وغارة سريعة على
المبهم ،
بعدة رثة تتلف باستمرار ،
في الفوضى العامة لعدم دقة الشعور ،
وشراذم العاطفة غير المنظمة » .

وعليه ، برزت « نهضة شعرية » مؤلفة من « و. هـ. أودن » ، و « س. داي لويس » ، و « ستيفن سبندر » و « لويس ماكنيس ». لكنهم ما لبثوا ان تفرقوا حين نشوب الحرب، بعد ان تكاملت نزعات كل منهم واصبح من الصعب التعاون في عصبة متكتلة .

و.هـ. أودن : W. H. Auden

كان دائما الزعيم المسلم به لتلك العصبة والنهضة . وان يكن الان مواطنا اميركيا باكتساب الجنسية على طريقة اليوت ،فعلمه مرتبط بشدة بالشعر الانكليزي الحديث .

ولا شك انه من المع شعراء جيله ، بعد اليوت . وعند بعض النقاد ، في غمرة من حماسهم ، كان امير الشعراء الاحياء ، مع « ديلن توماس » و « روبرت غريفز » . وفي سنوات الثلاثين كاد ينزع من اليوت كرسي الصدارة . سوى انه بعد ان نشر في سنة ١٩٤١ ، « « رسالة العام الجديد » اثار في

الاوساط الادبية خيبة امل شاملة ، بما فيها من جفاف واضجار . حتى قيل ان شعر « اودن » قد تأذى من رحيله الى الولايات المتحدة . خيبة لم تطل ، اذ ظهر له في سنة ١٩٤٥ مجموعة بعنوان « للوقت الحاضر » وشرح نثري وشعري لعاصفة شكسبير بعنوان « البحر والمرآة » . ففي هذا العمل الاخير تبين « اودن » في طور مختلف ، وصفه «هنري ريد» الشاعر ، بهذه الالفاظ : « انه مشرف، رائع ، ومتين . ولعل « اودن » ، لاول مرة ، يبدو متواضعا باخلاص ، بالرغم من دمه البارد ، وروحه واطمئنانه . »

على ان هذا العمل لم يخل من اخطاء قديمة عديدة ، كالعجز عن التضحية ببعض نكت فارغة ، والسرعة في الانشاء ، والمظهر العام المهمل تقريبا . كذلك نجد عددا من الافكار المألوفة لديه ، كالنقد الاجتماعي والتحليل الفرويدي ، مع تفصيل لعقيدة جديدة ، كما في « اغنية مريم للطفل » :

نم . ماذا تعلمت من العالم الذي ولدك
غير القلق الذي لا يستطيع ان يحسه ابوك؟
نم . ماذا سيفعل لك هذا الجسد الذي
اعطيتك،
او حب الام ، غير اغوائك ضد ارادته ؟
ولماذا انتخبت انا ، لاعلم ابنه البكاء ؟
نم يا صغيري ، نم .

ان شعر هذا المتأمرك توجيهي ، وذهني باسراف ، وذو فنية خالبة . وقد كان ينتظر منه ، في بداية انتاجه ، اكثر مما حقق من امال . الا ان ما حققه ، يحفظ له مركزه في الصفوف الاولى بين شعراء الجيل .

س. داي لويس : Cecil Day Lewis

اثناء الحرب ، اصاب « داي لويس » عطش جديد . لقد فصم عراه مع مدرسة الوجدان الاجتماعي التي كان من تلامذتها ، واقبل على شعر ذاتي . كما تغير كذلك ، بشدة ، البناء الشعري عنده . وفي عام ١٩٥١ ، جاء في مقال له : « ان اعمالي الاخيرة ، حسب قدرتي على الحكم ، تقدم تنوعا كبيرا في الموضوع والشكل ، انها تملك فتنة اكثر لذة، وتقوسا اكثر لدانة ، من اعمالي الاولى .

حكم ذاتي مصيب . لكنه لم يفطن الى ما فقده من ايجاز ونظام في اسلوبه الاول . وتحت تاثير « اودن » وشعراء مطلع القرن السابع عشر ، اتخذ « داي لويس » نهجا يتلاءم جملة ، مع العاطفة الشخصية، والدقة والوضوح :

« الشهوة ساحرة
تركض نحو الساعة .
انها تستطيع ان تفتق
الحاشية المحتشمة
حيث المسافة تخيط فوق الزمان :
انها تستطيع ان تنزع القفل
عن اسرار « بندورا »

ستيفن سبندر : Stephen Spender

ضعف « سبندر » الكبير ، كان دائما في عجزه عن ان يحضر صورة كثيفة ، ومتلاحمة

حقا . وشعره المتلاشي تدريجيا لـم يقدر كذلك ، على معانقة مواضيع من اختياره . كما يصمد بمشقة لتحليل متماسك، موحيا بفقدان الدقة ، وغياب تناغم داخلي حقيقي .

انه مثل « برسي شلي » يظهـر سيلانا غريبا يحذر التحليل . لكن ، على هامش كل نقد ، هناك جمال لا ينتقص ، يعطي هـذا الشعر الوزن ، على رغم مداه المحدود .

وقد يكون اكثر انحرافا من رفاقه فـي العصبة ، عن الشعر السياسي والاجتماعي في سنوات الثلاثين ، منذ مجموعتيه « قصائد اهداء » و « طرف الوجود » . اذ هـو يعنى بالعناصر التقليدية و «الشعر الصافي» رغما عن حنينه احيانا الى المشاكـل الاخلاقية والاجتماعية .

لويس ماكنيس : Louis Macneice

اعمال « ماكنيس » تنضح بسحر روحي، ومضيء ، وتدل على شعور عميق بالكائنـات وزخرفها ، وعلى دعابة رصينة ، واكثر ادراكا مما هي عند « اودن » . ولماكنيس ، كمـا لرفاقه ، هموم اجتماعية سابقة ، تخلى عنها، متجها نحو اللامبالاة ، دون ان يخسر الحرارة والقوة الهجائية اللتين انعشتا اثاره قبل الحرب . وماكنيس ، غالبا ما يستهويه ، ان يعالج مواضيع بسيطة ومنعزلة . وعندمـا يكره نفسه على ممارسة شعر معقد ، طويل النفس ، كـ الضفاف الستيجية » مثلا ـ بالنسبة الى نهر « ستيكس » في الجحيم ـ فان بنيانه الشعري يكاد ينهار ، مكتفيا برصف الصور دون ادخالها في لحمة متراصة .

ولعل ضعفه الرئيسي ، هو في قصوره عن ان يجهز بعض افكار فلسفية بالنقاء والتلاحم، دون ان يتركها في منتصف الدرب .

***

بالاضافة الى هؤلاء الاربعة الذين عقدت عليهم الامال الكبرى في الشعر الانكليزي، بعد اليوت ، لا شيء ادعى للدهش اكثـر من الشعبية القصيرة الاجـل لشعر « وليـم امبسون » الذي كان لها مثالا يحتذى فـي مطلع سنوات الخمسين .

يواجهنا « امبسون » في شعره ، وكـانه مشغول خارج مسائل من اقتناعه الخاص . والقارىء المثالي له ، يجب ان يكون متمرسا بالعلم ، واللغات ، وان يكون ايضا ، صديقا حميما له ، كي يفهم الايماءات والكنايات الشخصية في قصائده .

في مقال لـ « جـون واين » فـي عام ١٩٥٠ ،
نودي « بامبسون » مع « روبرت غريفز » كحائلين منيعين ضـد عـدوى الرومانتية الجديدة .

روبرت غريفز : Robert Graves

قبل الحرب ، كان القسم الاكبر من حظوة « غريفز » يعتمد على رواياته ، ودراستـه الانتروبولوجية « الالهة البيضاء » . لكن بعد ان نشر مجموعاته الشعرية ، اصبح من الاكيد ان الحظوة التي اوتيها بعد الحرب ، انمـا تتبسق في حديقته الشعرية ، ذات العروق الموغلة في خبرة كل يوم ، بنوع مـن الجدة ، والاثارة ، والحرافة .

وفي سنوات الثلاثين كـان اول الذين زعزعوا نفوذ « اليوت » ، وطرحوا « الوجدان الاجتماعي » كفكرة مقوية للشعر .

ومن قوله : « ان الاسباب الصالحة للمذهب الانساني الغزير الفضائل ، تجتذب اليهـا الشعراء بسهولة ، مثيرة عندهم ذلك الاضطراب النفسي المولود من الاحساس بالظلم الـذي يسيطر على العالم المادي . وعليه ، فيعلـم بدون تضليل ، ان جودة الشعر ، ليست في الاخلاق ، ولا في الفعل الزماني ، وانما في نشاط الارادة التي تواظب بحب ، على البحث عن الحق » .

هو اذن ، يكلف بحقيقة فكره الخاص. « لا شيء اخر يحدث ، ولا شيء يعلن في قصائد « غريفز » غير الشعر ذاته » ، كمـا اشار « سبندر » . وهذا ، قد يفرس في البال بقليل من الخطأ ، ان « غريفز » مؤمن بالشعر الصافي . اذ هو متيقظ بافراط للحيـاة الواقعية وقيمها . سوى ان « سبندر » على صواب ، فـي تأكيد عـدم اكتراث « غريفز » بوظيفة الشعر الاجتماعية .

ان عبارته ، جلية ومباشرة ، حتى ان بعض نقاده الاوائـل ، شبهـوه « بالشعراء الجيورجيين » ، مع ما بينه وبينهم مـن تفاوت بين . في حين يجب أن نطلب اساتذته الحقيقيين في القرن السابع عشر :

لقد سد سقراط وافلاطون المخرج
(اعني ، كيف حب الرجل والمراة يمكن ان يكون)
بايديولوجيتهما الجنسية الشاذة .

***

بعض عبرانيين في الرؤيا ، تنبأوا
بالنهاية المفاجئة ، كانوا يدعون فقط الى اخوية
العفة ، كلهم ماتوا تحت المنطقة

***

اصرخ تفا ! للعلم ، للعلم ، والاخلاق
والميتافيزيا
وتناقضات المقدس والمدنس ـ
وتعال يا حبي ، نتنزه معا ، في شتاء ذهبي

***

وبين اعمدة المجد التي تترنح ،
القمر حي في كل من تلك الوجوه المرفوعة
الى فوق
كبقايا فخورة ، لجنس من حملة الرؤى .
قصيدة (اصرخ ، تفا !)

ايدث ستويل : Edith Sitwell

تغطي « ستويل » باثارها ، المدة كلها التي دون فيها الشعر الحديث . (اي ، من سنـة ١٩٢٠ حتى ايامنا). انما شعرها بعد الحرب، صار ارقى واكمل .

كانت قصائدها ، من قبل ، لاذعة ، لامعة ، جافة ومصطنعة . حتى ظن ان هذا الشعر ، عرضة للموت مع الزمن الذي رافقه . ثم بدا الطور المغاير ، فكان العمق ، والرصانة ، والذاتية في المواضيع ، والفنى في التعبير. والجزء الاكبر من مؤلفاتها ، موقوف على زوال الجمال ، ودنو الشيخوخة . وقد كتبت مرة في احدى مقدماتها : « المقصود ليس خرافة بعيدة ... نحن نعني تلك الفتاة التي كانت تمشي قديما تحت الاشجـار المزهرة في الحديقة المجاورة ، والتي اصبحت الان عجوزا محطمة ، تنتظر الموت في بيت مغلق النوافذ ... نحن نعني كل جمال هارب » .

ثم عدلت انسانيتها وشفقتها الى مجالات عامة ، نتيجة للحرب في بعض منها ، ونتيجة لاكتمال نضوجها الشعري في البعض الاخر . وان يكن شعرها في هذه المرحلة ، قد عطـل من رشاقته الاولى ، فقد اعتـاض بالسمو والحنان المطلقين :

مثل الوردة
انا ايضا ، كنت غير مبالية في انداء
الصباح ،
انظر الى الموتى واياب ساعة الموت
كي اسامح قذارة ايدينا . انا ايضا في
الصباح
مثل الوردة التي تصرخ من الفرح الاحمر
والحزن الاشد احمرارا

ـ التتمة على الصفحة ١٦٩ ـ

الشعر الاجنبي الحديث

تتمة المنشور على الصفحة ١١٩

الساقطين من عروق فنية ، وخفقات قلب
استوعبت مرة ،
عملية حرق العالم ، واحمرار الصيف ،
امل الوردة .
لكن سوف يأتي الغد قريبا .
بالحكمة القديمة وحلمه الشتوي
لا شيء سوف يكون غير بطالة الوردة ...

ادوين موير : Edwin Muir

شاعر من صنف اخر . يشغله الدين ، والهرطقة ، وحالة المذنب ، والخطيئة الاعلية، وتداخلها جميعا في نظام الاشياء الحاضر . وقد ارجع الناقد « جي. سي. هول » ، العراك الاساسي الذي يحتدم في شعره ،الى التمايز في الحياة الانسانية . الى الانسان الذي يبحث عن الانسان المبحوث عنه،والانسان الخالد في الزائل ، والتاريخ والاسطورة .

كذلك ، يلوح لنا عنده بعض التأثر بهولدرلن ، ورامبو ، ونرفال ، وكافكا الذي نقله الى الانكليزية ، واليوت . فوق اهتمامه الكلي بالعمل السيكولوجي للمخيلة اللاواعية، الذي يفسر لنا الحضور المتواتر في اثاره ، للنماذج والرموز الاسطورية والشعارية .

ديلن توماس : Dylan Thomas

انه الشاعر الذي خسرته انكلترا ، وهو في اوج نشاطه . وقد كان «توماس» في احداق الجميع تقريبا ، شاعر المستقبل . وقد مدحه اغلبهم . « كالسير هربرت ريد » ، حيث قال: « هوذا ابدع الشعر على الاطلاق ، الذي كتب في زماننا » . وكايدث ستويل ، في هذا الاطراء : « شاعر جديد اطل بكل علامات العظمة . » وكستيفن سبندر في هذه الجملة المتحفظة : « ديلن توماس » شاعر نستطيع ان ننعته احيانا بالعبقري » .

غير ان « آر. جي. كوكس » افاد : « ان اعمال « توماس » توحي بموهبة شعرية لا تنكر ، انما الذي يعيبها ، الفقدان التام للنظام والتركيب » .

هذا صحيح . اذ خطأه يكمن في شعر يزأر ويعصف احيانا ، حبا بالرنين والوقع المثير فقط ، دون كبير رعاية بوحدة المعنى ، وحتى بأي معنى غالبا .

اطاره ، الطفولة والطبيعة ، والحب،والدين وتأويله ، الذي هو عنده كدعامة ، لا كموضوع مهم ، في قصائد كيفما خيلت ، تظل ترسل العظمة والموسيقى ، وسعة الروح كأروع شعر انكليزي حديث :

لم اخف ابدا ، في تلك الايام البيضاء
كالحمل ، ان يحملني الزمن
الى السقف الذي غمره ظل يدي بافواج
السنونو ،
بينما القمر يرتفع دائما ،
ولا ان اسمعه يطير مع الحقول العالية ،
اثناء دخولي في النوم راكبا حصانا ،
فاهب الى تلك المزرعة التي ولت الى الابد
بغير اطفال .
اواه ، يوم كنت صغيرا وحرا في اساليبي.
الزمان ابقاني نضرا ومحتضرا ،
غير اني غنيت في سلاسلي كالبحر .

وبعد ، ما هو مستقبل الشعر في انكلترا؟ فهذا ما سيقرره الشعراء الجدد ، امثال « فيليب لاركن » الشاعر الاروع بين اترابه ، و « جيمس كيركب » و « وليم بل » و «جون واين » و « تشارلز توملنسون » و « توماس كينسيلا » و « تد هيوز » و « جون سيلكن » و « جوفري هيل » و « دونالد دايفي » الذي يزاحم عند البعض ، الشاعر « لاركن » ، و « كينفسكلي أميز » .

٢ ـ الشعر الاميركي الحديث

أ ـ الولايات المتحدة :

مثل العلامات المميزة لكل « طابع قومي »، تقف الخاصيات لاداب امة ما ، موقفا لا تحقق هويته بسهولة . غير اننا نسلم متفقين جميعا بوجودها ، ولا نكف عن التحدث عنها كحقائق ظاهرة .

ان « بوالو » و « بودلير » و « فاليري » مثلا ، يجمعهم شيء دامغ غير اللغة . هناك ايقاع عقلي يربطهم ،ومناخ فكري واحد يتكشف في اعمالهم . وبالنسبة للادب الاميركي ، فكثيرون لا يشكون يوما في التعريف باحكام، او التحديد لميزته المسيطرة . ولعل حكم « هنري ادامز » احد كبار المتشائمين ، منذ خمسين سنة ، هو خير اثبات لشخصية هذا الادب .

قال « آدامز » : « ان الروح الاميركية ـ تلك التي في بوسطن ، كما التي في ولايات الجنوب او الغرب ـ تحب ان تسعى الى هدفها باستقامة ، وان تواثبه وجها لوجه ، كي تؤكد او تنفي بوضوح شيئا ما ، سوف تعتبره كفعل واقع . انها روح اتفاقية في نتائجها، اتفاقية اخيرا في تعبيرها ، مع اعلانها بضجة لاستقلالها ازاء كل اتفاق » .

ان « طريقة الحياة الاميركية » هي المشكلة الرئيسية ، لاديب هذه الولايات ، سواء أكان شاعرا ، ام روائيا ام مسرحيا . اذ هذه الولايات ليست كيانا ثابتا ، كما فرنسا او انكلترا مثلا ، وغيرهما من الدول العريقة . فهي حديثة العهد ، وعلى استعداد لان تضيف نجمة اخرى الى علمها ان استطاعت .

وعليه ، فالاديب الاميركي ينظر الى وطنه ، كتجربة انسانية . ان كل تجربة عنده،تجادل. وقد يكون الوحيد ، منذ الحرب الانفصالية خاصة الذي تصدى تنظيميا للحكم على هذه التجربة . وتجاه جماعية حيث الافراد في تغير مستمر ، خلقا وتقليدا وروحا ، كان يجد تجربته مدعاة للحزن والرثاء . وفي اصطلاح النقاد ، ان عام ١٩١٢ ، كان اللبنة الاولى لبناء حركة شعرية جديدة ، حينما صدرت مجلة« الشعر » في شيكاغو ، لصاحبتها « هاربيت مونرو » وتحلق حولها « دافيسون فك » و « وليم فون مودي » و « هلن ددلي » والشاعر الذي تزعم التجديد فيما بعد : ازرا باوند . ومرت اعوام مثمرة لهذه المجلة ، تبدت اثناءها معالم الشعر الاميركي على قاعدة وطيدة حديثة . فكان لنا «ادغر لي ماسترز»، و « كارل ساندبرغ » ، و «روبرت فروست».

في هذا العهد الذي دمغته « جماعة التصويريين » ، بميسمها ، جرى اول اتصال بالشعراء الرمزيين الفرنسيين ، فترك ابعد الاثر . ثم انشئت بعد ذلك ، مجلة اخرى باسم « الاخرون » اهتمت بشعراء اغفلتهم « الشعر » . فكان لنا « وليم كارلوس وليمز»، و « ماريان مور » ، و « ولاس ستيفنز » ، الذين عرفوا بنزعة الجدة والابتكار .

اما عام ١٩١٤ ، فقد اهدى الى العالم شاعرا كبيرا ، كان ذا اثر بالغ في الشعر الانكليزي والاميركي . حتى اننا نحن هنا في لبنان ومصر والعراق وسوريا لم نسلم من صنعته ، فتبعها تلامذة ومعجبون ، افرغوا دما حارا في جسم الشعر العربي .

اجل ! في ذلك العام ، تعرف ازرا باوند بالشاعر الشاب « تي. اس. اليوت » ،

فاعجب به كثيرا وراح يشجعه ناصحا ومعلما ومنقحا ، الى ان اشتهر تلميذه ، وكاد يحجبه بظله .

ومن هذين الرائدين انطلق الشعر الاميركي والانكليزي ، كما افاد كذلك من اجواء و.هـ. أودن في الشكل والمضمون . فصار منفتحا قابلا لعدة مذاهب وينابيع .

وفي تحليلنا الافرادي ، قد نقدم صورة اوضح عن الاتجاه المعاصر ، عوضا عن التعميم الذي يستهوي عادة بعض الدراسات، واعرض عنه .

روبرت فروست : Robert Frost

انه شيخ الشعراء الاميركيين . عرف مجدا، وحتى شعبية غير مفهومة بالنسبة للقارىء الاجنبي . وهو النموذج ذاته ، للرثائي المتعلق باقليم يغنيه ، بنغمة مصفرة ، لكنها مليئة بحكمة طيبة ، وبالجمالات الطبيعية ، والحنين الرومانتي الى الوطن .

صانع مستحب للشعر ، ينحدر مباشرة من سلالة شعراء المستعمرات الذين كانوا يحاولون لجماعة « الكويكرز » او الاصدقاء ، في زمن « وتير » و « برانيت » و « لونفلو » . وفي وسط شعب يضغطه الضجر ، وينخره القلق، هو المعلم بالرخص لمدرسة الفبطة .

ولا شك ان شعره ، على الرغم من صياغته الاتباعية ، قد منح الشعر الاميركي القدرة على النماء .

كارل ساندبرغ : Carl Sandburg

هو في وسط الغرب اثائر لسنين خلت ، كما روبرت فروست في مقاطعة «نيو انغلند» الهادئة . وهو ايضا « ويتمن » المطرقة والمدفة، « وتمن » المسالخ ، والتراكتورات والكهرباء. انه مخزن بلا مثيل للحيوية المتدفقة . واذا كان « فروست » الشاعر الشعبي للارستقراطية البورجوازية المشغولة بتأثيث ذاتها بالصور العذبة ، فان « ساندبرغ » هو الشاعر الشعبي للطبقات الكادحة ، التي نجد فيه ، عرقها ، ومجهودها العضلي ، وصراعها ، والرياضات العنيفة .

انه الوريث لالهة الشعر « الوتمنية » ، بعد ان جعلها اكثر آلية ، وكهربة وعصرية ، اعدت حتى الجيل اللاحق مثل « كينث فيرنغ » Kenneth Fearing

وساندبرغ ليس شاعر الوثبة الحية فقط، وانما استطاع ايضا ان يلبس الشعر بطريقة ماكرة ، تعريفات ذات قماش مبرقش :

« الشعر جريدة حيوان بحري عاش على الارض ، واراد ان يطير . الشعر ، تقليد صرخة نقذفها ، حين نلقى مليون دولار، وتقليد صرخة نقذفها حين نفقده ... الشعر ، مستند خيالي يشرح ، كيف نصنع اقواسا قزحية ، ولماذا تختفي » .

ساندبرغ شاعر اميركي مائة بالمائة .

ولاس ستيفنز : Wallace Stevens

بين جميع شعراء القرن العشرين في الولايات المتحدة ، « ولاس ستيفنز » ، هو بلا ريب الاكثر تآلفا ، واهتماما في تحديد القصيدة بعملها الفكري . هو يكتفي بأن يتعرف ، ويعرف بالتالي الهذيان المقلوع من

منجم الخيال السيد لاذية سحره الخاصة . الشعر عند « ستيفنز » فتنة قصوى ، وهو في اوقاته المخذولة ، « ملحمة للنكران » .

لقد جرؤ هذا النقاش المرموق على ان يقول : « انا ما يحيط بي ... الوجود نهاية الظهور ... والقصيدة ، تقدر ، بنجاح قريبا، على معاندة الذكاء » . او ان يهتف في اصرار:

« الشعر . هذا هو موضوع القصيدة ،
من هنا تقلع القصيدة ،
والى هنا تعود ثانية . وبين الاثنين
الذهاب والاياب ، ليس غير الفيئة
في الواقع . الاشياء كما هي .
او على الاقل ، حسب كلماتنا الخاصة » .

وليم كارلوس وليمز :

William Carlos Willianms

هذا الحاضر والكاشف للمواهب الفتية ، من اندر الشخصيات الفاعلة في عالم الشعر الصغير . وتأثيره الشخصي قد يكون مدينا لاخلاقه السخية ، اكثر مما هو مدين لمؤلفاته، التي كان ثوابها الاعظم ، ان ترسم لغة اميركية مباشرة واضمارية ، كالتي تنبعث من عصر الجاز والسرعة . انه يكتب كما يتكلم ابناء الشارع . لا بطعم وحدة . وانما بكنايات

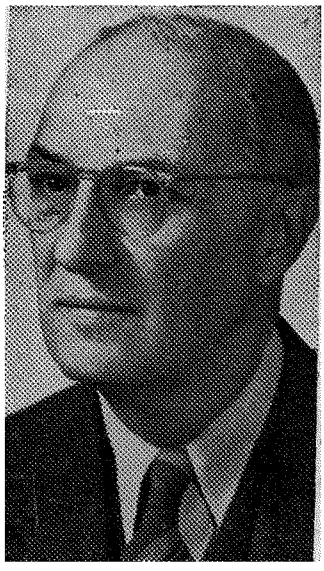

تقريبية ، متكاسلة ، مهملة ، وغير واضحة . فالاصوات الصماء ، والجمل العامية، والفكر اللامفصلي ، تلهث بتواتر في ابياته التي عققت عنق البيان ، وساهمت في فصل الاميركية المكتوبة ، عن الانكليزية المكتوبة .

القصيدة عنده ، كما جاء في احدى قطعه الشعرية هي :

كل شيء
في صوت . اغنية .
نادرا اغنية . قد تكون
اغنية ـ مصنوعة
من تفصيلات ، من زنانير ،
جنطيانة ـ شيئا ما
مباشرا ، مقصا
مفتوحا ، عيون
سيدة ـ تستيقظ
قوة دافعة وجاذبة .

ازرا باوند : Ezra Pound

منذ احتجازه في مستشفى للامراض النفسية ، من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٥٨ ، بانتظار الحكم الذي لم يصدر بحقه ، في دعوى الخيانة العظمى بالاشتراك مع حكومة موسوليني اثناء الحرب العالمية الثانية . منذ ذلك الحين ، اصبح ازرا باوند بسرعة ، في اعين الشعراء الشباب ، شهيد الشعر بالذات ، والضحية المثالية ، لجماعة تخبأ الضغينة للشعر .

ومنذ عام ١٩١٢ ، وزعيم التصويريين ، يطري استعمال اللغة العادية ، والشعر الحر ، وفائدة الصورة ، « عدوة العموميات والمجردات » ، والايجاز ، « ماهية الشعر » .

يظهر باوند في اثاره، شاعرا كثير الحركة، وثائرا على اتفاقية العقلية الاميركية ، التي

صفها « ادامز » ، وجامحا ، ومشوشا ، ذا ريحة نابهة تنتزع الاحترام كله . انه عاجن ريب للثقافات غير المتوقعة ، واسع المعرفة، رصف بغير وفاق ، أصداء الشعر القديم ، تبصر في بنيانه ، استشهادات صينية ، يونانية ، وايطالية ، واسبانية ، جذبت اليه عددا كبيرا من مواطنيه ، واتباعه في العالم ، الذين تخدرهم كثرة من المعارف السيئة الهضم .

وهو لا يزال حتى اليوم ، بالرغم من انصرافه عن جماعة التصويرية ، يتابع عمله الشعري ، في وفرة من الجولات غير الاتفاقية، ونظافة في الملامح .

باوند ، مفضل كبير وسخي ، على الشعر الاميركي والانكليزي الحديث .

تي. اس. اليوت : T. S. Eliot

قال يوما « ارنولد بينت » عن هذا الشاعر،

« انه اوروبي اكثر من الاوروبيين ، ولا اثر لديه ، من وطنه الام » .

انا ارى مع فئة من النقاد ، العكس تماما. فاليوت الذي فقدناه في العام الماضي ، لا يدرك الا اذا ربطناه بوسطه الاصلي : في هارفارد ، ذلك المركز الجامعي القديم، وبتلك السلالة الملكية الصارمة التي هبط منها.وهو اميركي بطبيعته وروحه ، وان اسقط عنه جنسيته الاميركية . وهذا ما حدا بي الى تحديده في هذا المقام .

احدى مزاياه التي لا تنكر ، انه يحور شارحا ، وناقدا ومترجما ، في عمل من دقة العبارات ، نموذجي ، وبغموض مقصودنموذجي كذلك . لا احد يمكنه ان يخدع القارىء،بانه قادر بغير تردد على فهم قصائد سائلة،صعبة، غير مستسلمة ، وهاربة ، اراديا وجوهريا .

لقد انشأ « اليوت » نوعا من « صوفية المبهم » التي جددت بوسائل زاهدة متحفظة ظاهريا ، شعر الميتافيزيين في القرن السادس عشر ، مع استحضار عطور تذكرنا بـ « غونغورا » و « مالارمه » . والانطباع المألوف الذي تتركه عاطفة دينية مضمنة في قصائده ، يسبغ على هذه القصائد ابعادا ، قد لا تملكها في الواقع .

الا انه ، على كل حال ، شاعر حاذقمذهل، حمل صوت جيله ، وزمانه ومدنيته ، فيتراث كانه قصيدة واحدة .

هذا الناعب الابح ، كما ينعت . هذا الصوفي في نظر السوي . هذا اللغزي الذي صنع من الثورية قيمة فنية ، هو معلمالجيل.

واذا كان الشعراء الشباب ، قد اخذوا يميلون عنه قليلا . فهو حاضر فيهم على رغمهم . وحتى في العالم العربي ، تكاد شهرته وتعاليمه تطغى على اكبر الشعراء المحليين .

وان قصائده المعروفة « اغنية العاشق بدوفرك » و « الرجال الجوف » و « الارض الخراب » و « اربعاء الرماد » ما برحتامثلة تستهدى ، لكل طامح شعر .

كونراد أيكن : Conrad Aiken

قد يكون الاكثر عالمية بين الشعراء الاميركيين ، واحسنهم تمثيلا لقلق العصر الكبير . انه « شاعر الانحلال الخالق » كما لقب ، ومغني العبث والكزموس ، والانسان المتهم في عالم يترجح كل ما فيه ، ضمن تناقضات تحاول ان تتقارب فلا تقوى .

يجمع التشاؤمية العميقة مع الحماسة النشوى . والاضطراب مع جنون التنافر . ويتوجها جميعا بتأكيد فضولي ساخر ، لحق الانسان في الشك بالانسان . وهو ايضا ، نقاش ساحر للحكم الموجزة ، والصور ، التي يطلقها كتحديدات للشعر ، وللانسان في حضن المأساة الذرية ، وللفكر الذي اصبح نظريا ، وغير اهل لان يتحقق بالعقل وحده .

كل كائن عند « ايكن » ، هو « جزء كلمة لامع ومعمى ، يعني لا ونعم في آن واحد » .

اي. اي. كمنغز : E. E. Cummings

ان اجتهادات « كمنغز » تكمل ، على مستوى اكثر ذهنية وتوافقا ، اجتهادات « وليم كارلوس وليمز » . فهو قد ساهم كذلك ، في فصل الاميركية المكتوبة عن الانكليزية المكتوبة ، وفي اعطاء الكتابة في الولايات المتحدة ، ليونة لم تحزها لغة الوطن القديم الام .

هو يشرح الكلمات ، ويقلب نظام اجزاء الكلمة ، ويكبر الحروف داخل الاسماء بدل اولها ، ويلصق عدة حروف او يقطعها بالبياض .

ومما قاله في هذا الشأن ، الناقد «ثيودور سبنسر» ، ان الكلمات ، تاريخيا،تجيءبالتتابع (الواحدة بعد الاخرى) في حالوصف، لمشهد ما مثلا ، لكن التجربة التي تقوم بالنظر ، ليست خاضعة لعنصر الزمان . كل مركبات التجربة تحدث معا ، وفي دفعة واحدة . والكتابة العادية تنقض هذه المعية . انها تلزم الواقع بنظام من التعاقب المفتعل . وهذا ما اراد ان يتجنبه اي. اي. كمنغز

وزيادة في الايضاح نورد هذا المثل :

الف ـ هو ـ

روب ، عصفور

تاكله الظـ ـ

لمات

بكا

مله .

اما « ارتشيبالد ماكليش » فقد بدأ حياته الشعرية داعيا الى مذهب الفن للفن. ثم اخذ يتحول تدريجيا نحو معتقده السياسي والاجتماعي والعدالة ، بحرارة وتطرف .

في شعره ، ملامح من ابوللينير وباوند واليوت وسان جون بيرس وهوبكنز .

واما « هارت كرين » Hart Crane هذا الشاعر الحائر ، الذي انتحر في عامه الثالث والثلاثين ، فيقف في الفنائيةالاميركية كموقف « سكوت فيتزجرالد » في النثر الروائي ، ما بين الحربين العالميتين . انه يمثل سباقا جامحا للاقاة السعادة الوهمية ، وثملا عرف اصفى اختطاف للصلاة واسوأ فقدان عزم للفجور . المثالية الاميركية اللجوجة ، غير الصريحة ، والمتقلقلة ، وجدت في « هارت كرين » صانع رقى ، تمكن في اسمى قصائده ، من ان يصل الى التوازنبين التعاليم السرية وشراسة الاستدعاءات الصناعية .

و « الن تيت » Allen Tate

احد المعبرين النشاطى ، في شعر((الجنوب)) عن مواكب المشاهد الواسعة المتشابهة ، والفصول الشعبية ، حيث مصير الانسان يظل تقريبا بلا انتقال، في وسط السهول العريضة، والانهار الكسلى ، ومغارب الشموس التي لا تنوشها ناطحات السحاب .

هنا ، تتنشق الطبيعة ، ولا تعضنا هولة ، كانا في سفرة فرجيلية .

و « كينث فيرنغ » Kenneth Fearing الذي غمط حقه طويلا ، يظهر اليوم ، بعد ثلاثين سنة منذ مجموعته الاولى ، كمواصل لعمل « وتمن » ، على ضوء الحيرة والحصر الحاليين .

انه شاعر الملل الاميركي .

***

هؤلاء في عرفنا ، ابرز الممثلين لحركة الشعر الاميركي الحديث الذين صبغوا خامه بمحابر لا يفسل مدادها .

وهنالك في الحاضر ، كثيرون من الشعراء الشباب الموهوبين الذين يسيرون قدما بايمان وثبات وفنية قد لا تقل قيمة عن الماضي. امثال « كارل شابيرو » ، و « روبرت لول » و « بيتر فيبرك » الذي زار بيروت منذ وقت قصير وحاضر في الجامعة الاميركية ، و « راندال جارل » ، و « دلور شوارتز » ، و « مريل مور » ، و « غريغوري كورسو » ، و « ألن جنسبيرغ » ، و «لورنس فرلنغيتي».

ب ـ أميركا اللاتينية :

ابرز ما يميز ادب اميركا اللاتينية ، تعلقه بارضه والدفاع عن مشاكله الداخلية . وقد يكون الشعر على الاخص ، اعمق تأصلا في ماض من التحولات المتفجرة التي اشربت الخيال المعاصر سموما لا انجع ولا اعذب .ذاك انه لا يشغل ذاته بالانسان واخلاقه ، وانما بحضوره في وسط القوى التي تسحقه مرة بعد مرة ، وتعيش في المدهش اليومي ، اي اليومي الذي لا يقدر ابدا ان يتخلص من المدهش ، ماهيته بالذات . هنالك علاقات وثيقة عنده ، لا تقبل الانفساخ ، بين النمر والنجمة ، البركان والنهر ، الانسان والرزنامة ، الابراج وتلاطم الامواج ، والاولاد والزهرة المفترسة .

على ان هذا الادب ، وان يكن يتحدد بما يملك من خاصيات تلقحها التعاليم الاشتراكية او الماركسية احيانا ، لم يخرج في تطوره من دائرة المدارس الاسبانية (المتطرفة والابداعية) او العالمية (الاستقبالية وخصوصا السريالية).

ومثل كل تطور ، لم تسلم اميركا اللاتينية من المنازعات حول مواقف الشعر : ايكون مولودا قوميا ام عالميا بغير الاستناد الى الحقائق المحلية ؟

وكان ان احتدم الجدل في وسط من التشوش الذهني لا يصدق ، حيث تصادمت النظريات المسقطة للفن من اجل الفن، والتقويم بصفاء تصويري للموضوع القومي والاحالات الى عالمية الفكر والجمال ، والمناداة المفخمة بقدرة « الارض » والطبيعة الاسبانو ـ اميركية .

والظاهر انه كان جدلا عقيما ، تفضحه القمم الشعرية المعاصرة ، في هذه القاطعة ، التي اهتدت الى جنسيتها « الاصلية » مع الانفتاح على العالمية ، التي تجد فيها فائدتها مباشرة . قمم كان لها ان تركز اميركا اللاتينية في المصاف الاولى وتخلق « عصرا ذهبيا » جديدا للشعر الاسباني .

ان اسماء مثل غبرييلا ميسترال، واويدوبرو، ونرودا في التشيلي ، وفاييخو في البيرو ، وبورخس في الارجنتين ، ونيكولاس غيين في كوبا ، وبيثير ، وغوروشتيثا ، واوكتافيو باث في المكسيك ، واندرادي في الاكواتور .. ان اسماء كهذه ، لا يحفل بها الا كل ادب عظيم.

لكنا هنا ، ودون أن نتهم بالجنوح عن العدل ، سنقتصر على ستة اسماء نراها تمثل جوهر الشعر الاسبانو ـ اميركي الحديث هي: غبرييلا ميسترال ، ثيسار فاييخو ، نيكولاس غيين ، بابلوا نرودا ، خورخي لويس بورخس، واوكتافيو باث .

غبرييلا ميسترال Gabriela Mistral

ولدت في تشيلي ، وكرست قسما كبيرا من عمرها للمسائل التعليمية ، ثم انتقلت الى مراكز اخرى ارفع ولا سيما في المكسيك .

همها كان الحب . الحب النفيس الذي يمزق . فالحب هو الكلمة التي تختصر كل اعمالها . انها كتلة من حنان حتى في قسوتها، ينهشها الالم . ومن هذا الخليط الشعوري: الحب والحنان والالم ، كانت تفدق بانبساط اكثر فاكثر ، على الرجل الحبيب والولد، على الاشقياء والوطن ، وبايمان اشبه بوحدة الوجود .

ومن هذا الخليط الشعوري ، كان ذلك الاندماج عندها ، بين الاشتراكية العاطفية والمسيحية العاطفية ، في اسلوب لم يتأثر بالتيارات الجديدة . وهي ان لم تخلص تماما من اثر « روبين داريو » شاعر نيكاراغوا في مؤلفه « اناشيد الحياة والامل » فان اسلوبها جاء ابسط ، وتقديرها للموسيقى كان يغلب على الصورة .

ان غبرييلا ميسترال ، وجه شعري شامخ يدعو الى الحماسة والورع . وشعرها مرآة صافية للضمير ، يجمع المحزن الى العذب ، والرقة الى الحدة ، الى حد انه حرك لجنة نوبل فكافأته بمجد عالمي طويل .

ثيسار فاييخو : Cesar Vallejo

عندما نتحدث عن الشعر الاميركي في الصميم ، بجميع ابعاده وعروقه ، فان اسم فاييخو يزلق اولا على رخامة مخيلتنا . ان هذا الشاعر يحوش في شخصه اغلب نعوت الغرابة ، والعبارة القوية ، والتأثر العميق ، واللغة المحملة بالمعنى الاميركي السليم . ففي صوته يرن طموح مقاطعة وشعب ، بحمية لا تستهلك ، وبارتعاشات معدنية ونباتية تغور جذورها في تاريخ « البيرو » القديم . انما هذا الصوت لم يكن « نغما داخليا » بل كلمة داخلية . فوقعه اشبه باللغة المحكية ، او هو شعبي من « البيرو » وسلسلة الجبال المديدة العتيقة . وهذه الكلمة لم تكن مادة مونولوجية ، بل حوار ، حوار اليم مع شخص لا يجيب او سوف لا يجيب او لا يقدر ان يجيب . ان فاييخو يخاطب الصمت . فهو يطرقه وغالبا ما يمثل صلابته بالجدار الحقود والتهكمي للعدد او البيولوجية . والحقيقة الاساسية لديه ، هي الموت . لا الموت الذي سوف يجيء ، لكن الموت الذي هو في الحياة نفسها ، او هو الحياة نفسها .

قليلون هم جدا ـ حسب معرفتي ـ الذين يملكون شعور « اللاوجود في العالم » كما قال رامبو .

ومن اهم مواضيعه كذلك ، الحزن على الام والاحساس الطفولي ، وخذلان اليتيم . اذ كان شاعرا مخذولا وضحية «وجوده» .وعليه، فهو شاعر ابن بيئته باخلاص لا بحضور زهيد . وان وسط « البيرو » يصيح بعنف بين سطوره بالرغم من بعده عنه ، في نبرة حزينة ، نبرة المهزوم الذي قهره واقع العيش وتركه يموت في البؤس او من البؤس في باريس عام ١٩٣٨ .

نيكولاس غيين : Nicolas Guillèn

يعتبر « غيين » انبه ممثل للشعر الجديد: « الشعر الافرو ـ كوبي » .

ان هذا الخلاسي بعد أن وعى قيمه وفوارقه ، اراد ان يبدع شعره الخاص.فكان عليه ان يلجأ الى الاشكال الشعبية التي اورثتها التقاليد القديمة كالموسيقى والرقص المتحدين ابدا على الافضل . والخطر في تجربة كهذه يكمن بالطبع في طاقة المهارة . الا ان معرفته المتينة بالاسبانية وحسه الصحيح الاروبة سمحا له دون ريبة ، بالتغييرات الشكلية التي لحقت لهجة السود ابناء الجزر ، وباسماء الاصوات المختلفة التي تلحن الاغاني السوداء .

ونتج عن ذلك ، شعر غني بالالوان والانغام والاصوات ، يعبر عن مزاج وطبيعة ، ويمكن اعتباره من اسلم الشعر الاستوائي . واننا

امام شاعر قريب لشعبه ، ذي ارادة شعبية في خدمة شعر عنيد وساخط وهازىء.شعر اخذ على عاتقه مصير الانسان الاسود فجاء كثيفا بعيد القرار . وهو مثل « فاييخو » ، لا يحتجز ذاته في جلده وجزيرته ، وانما يتعلق ايضا بالفكر العالمي ، وبالحرب الاسبانية التي كانت له ولسواه الزلزلة الكبرى التي جعلت تضامن الاسود الكوبي مع العامل والقروي الاوروبي امرا حقيقيا .

بابلو نرودا : Pablo Neruda

اثناء رحلتي في العام الماضي الى اميركا اللاتينية لمست بنفسي عظمة هذا الشاعر الذي يقدسه شعبه وقارته ويضعانه في اولى مراقي الشعر الاسباني ـ اميركي .

كنت كلما فتحت انسيكلوبيديا هناك ، او سألت اي مثقف ، اقرأ او اسمع هذه العبارة

اجل ! ان نفتالي ريكاردو ريس ، وهذا اسمه الحقيقي ، « شاعر عجب » . الا ان هذا التقدير الخالص ما كان ليرضي الشاعر الاسباني « خوان رامون خيمينث » الحائز على جائزة نوبل ـ واظن بداعي الغيرة والحسد ـ فراح ينعته « بالشاعر الرديء الكبير » .

ان نرودا ، قوة اميركا الاسبانية ، كما هو غزارة تلك القوة . فنحن نحسه دائما منهمكا بالعمل الدائري . اذ هو قبل كل شيء شاعر كوني بكل ما في هذه الصفة من ثقل . وان اميركا بما فيها من درامية وخرافات وغموض ساحر اشبه بشيء من السريالية النابع من الفهم المفاجيء للعلاقات . اقول ان اميركا بخريطتها تمور في ابياته صورا بلا حدود تعدو باصباغ السريالية دون ان ترتبط بها او تلعب لعبتها العبثية .

ما من بيت واحد عنده ، لا يرتكز الا على الالفاظ . فنرودا يكتب ليوصلنا الى شيء ، ولكنه يشحنه بجميع اصداء هذا الكون ، فيركض غريبا نكاد لا نعرفه . وفي كتابه الخالد « النشيد الشامل » ، ملحمة كفاح الانسان الاميركي في دروب الظلم والارهاب، اعطي له اخيرا ان يحشد كل ميزاته الآخذة، التي كانت متفرقة في اثاره . ففي هذا النشيد تتخاصر الصورة الفنية ، والبيان ، والنفس الطويل ، والحس الدرامي والكوني، والشعور الاميركي بمعناه الارضي العائد للانسان ، الانسان الذي ينبعث من الارض قليلا قليلا ، الانسان الذي ليس بفرد ، وانما هو شعب وجه بغير ملامح ، كأحد رسوم الفنان المكسيكي « دافيد الفارو سيكيرس ».

خورخي لويس بورخس : Jorge Luis Borges

يحتل اليوم بورخس مركزا فريدا في الادب العالمي ، مركزا اكسبته اياه قصصه وقصائده وابحاثه المنظورة كتحف ذات غرابة لا تعوض. فكان له في عام ١٩٦١ ان يقتسم الجائزة العالمية للادب مع كاتب لا يقل عنه غرابة ، واعني به صموئيل بيكت .

ان في شخصية بورخس المتنوعة، تتزاحم بتناغم عجيب ، الملكات الخلاقة التي رفعت الاساس لذلك العمل الفني والكنز الرحب من المعارف التي تغذي ثقافته . ولذا ، فان إشعاره تقبض على التعبير الصحيح لموهبة قدر لها ان تصطاد المعنى الميتافيزي للحياة والاشياء .

ان بورخس حين يهب شعرا ، يهب فلسفة في الوقت ذاته . اما شعره ، فمن همه البحث عن اليومي والعادي ، كي يتقصى في الظواهر الفاقدة معناها وحتى الفامضة ، جمالا غير متأمل بالنسبة لعيون اقل منه نبوءة واشراقا.

لا شيء متروكا للصدفة في هذا الشعر ، المبني مع ذلك ، بمفردات صافية وصور لا تتطلب الفحص التحليلي المرتبك . لقد توصل هذا المتوحد الى البساطة الصعبة التي عبئت بالطريف الخفي الذي لا يخضع لقراءة واحدة ، كي يكشف عن سر رسالة الشاعر .

وان التأمل في اعماله على هذا الاساس ، يظهره لنا فريدا وبعيدا كل البعد عن الواقعية الاسبانية والهموم السيكولوجية او الالهام البراق الاجتماعي والحماسي المحفور فوق رقعة اميركا اللاتينية العريضة . انه رجل ادب قبل كل شيء . وادبه ليس له اي تراسل مع الواقع الاجتماعي او الحياة الجماعية. فهو وليد الادب عينه مثل غصن زاه وشاذ (١) .

أوكتافيو باث : Octavio Paz

ان « باث » في الساعة الراهنة ، من اهم شعراء اللغة الاسبانية بلا منازع . وشهرته قد تجاوزت منذ سنوات حدودها المكسيكية . وانا من محبي هذا الشاعر . وكتبه دائما في متناول يدي . وخصوصا مجموعته « الحرية في الكلمة » التي تضم اشعاره من ١٩٣٥ الى ١٩٥٨ ، وشعره يزخر بالصور ـ الدهشة ، المفعمة بالمعنى ، التي تترجم عن تجربة ذاتية، اذا ما قيست وفقا لحقيقة الانسان والاشياء، تخلق بدورها ، حقيقة اخرى جديدة ومذهلة.

انه وهو يعترف من داخل ، ينشد عالمنا ، وزماننا . فالحب والبغض ، والموت ، وفرح المشاعر ، ومشاهد الطبيعة ، ورسالة المعتزل المبدعة ، ورؤية الاشياء الجامدة ، ومطر الذكرى ، والتناقضات الجماعية ، والتضامن مع الاخرين ، كل هذه ، تكتسب في مدار ريشته ، غنائية للبعث والحياة ، هي بالضرورة انفعال ، وجواب متفائل امام مفهوم العزلة ونظرة الزمان .

فالشعر ، في رأيه ، تجربة قادرة على تطوير الانسان والعالم . والقصيدة اصلا ، انما هي عمل ثوري . ولا نبالغ اذا قلنا ، ان ما اخفقت فيه السريالية في فرنسا ، قد عاناه بنجاح ، اوكتافيو باث ، ابن السريالية الراضعة روح الهنود الحمر المقدسة ، سكان المكسيك القدماء من جماعتي « الاتتيكا » و « المايا » . وقد تكون الابيات التالية من قصيدة « نحو القصيدة » لهذا الشاعر الذي كوفيء اخيرا بجائزة الشعر العالمية ، خير تعريف له :

نحن نتحرك ابدا في احشاء الحيوان
في احشاء المعدن ، وفي احشاء الزمان .
كي نجد المخرج :
القصيدة .
وان انتزاع اقنعة الفانتاسي ، وتسمير حربة في المركز
الشوري ، واثارة الانفجار ،
وان قطع السرة ، وقتل الام : تلك هي
الجريمة التي اقترفها الشاعر
المعاصر من اجل الجميع وباسم الجميع .
على الشاعر الحديث ان يكتشف المرأة .

٤ ـ الشعر الاسباني الحديث

بعد ان مر عهد المدرسة المتطرفة الذي دام من ـ ١٩١٩ الى ١٩٢٣ ـ وهي مدرسة تدعو الى هجر « الزخرف في المدرسة التجريدية » وعنصر الحادثة الموسيقي والمؤثر ، والى احياء الشعر القائم على المجاز ، واستلهام المواضيع الدينامية والحية في العالم الجديد ـ بعد هذا العهد ، حدث انتقال نحو الاصول التقليدية ، على رؤوس اقلام ، سماها الشاعر « دامسو الونسو » بالجيل الذي لم يثر ضد شيء ، لا في السياسة ولا في الادب .

(١) نحيل الراغب في التعرف اكثر بهذا الاديب ، الى دراستنا عنه في عدد «الاداب» الاخير للعام الماضي .

هذا الجيل ، رد الاعتبار الى اسلافه النوابغ ، مثل « اونامونو » و « ماتشادو » و « خوان رامون خيمينث » ، كما شغف بالقيم الكبيرة للغنائية الوطنية . لكنه مع ذلك ، تمسك ببعض السابقات المتطرفة :

اولا : الاستعمال الحر للرمز ، ـ وهو لا يزال حتى اليوم من اهم عناصر القصيدة ـ .
ثانيا : التبسيط الزخرفي الشعري للواقع .

وثالثا : استبدال الانحطاط الحسي بالنبرة الفتية والمتفائلة ، واحيانا المتهكمة .

انه جيل الزخرفة المثقفة للشعبي عند « لوركا » و « البرتي » ، والشعر الصافي عند « ساليناس » و « غيين » . وكلا الاتجاهين يمتان بنسب الى « خيمينث » معلمهما غير المنازع .

بعد ذلك بقليل ، في اواخر سنوات العشرين ، قدمت حركة ثورية من فرنسا ، اسمها السريالية ، فاشربت الشعر الاسباني الحديث ، الوانا طريفة كادت تتفوق على مبدعيها الفرنسيين . ووهبته ، بفضل شعراء اخذوا بها ، مثل « لوركا » و « ألبرتي » و « أليكسندري » و « ثرنودا » ، وهبته محتوى دراميا ، بعد بضع سنوات من الهروب امام البيان الشعوري ، وحتى اللاانساني حينا .

هذه الردة للانساني ، كانت ، حسب زعم « دامسو ألونسو » اشبه برومانتية جديدة ، جانحة الى الرقة ، والعاطفة ، والصراخ الحاد، والنبوءة . وعلى تلك القاعدة ، التي تستند الى وحدة البدع الجمالية الاخيرة ، مع الاصفى من التراث الاسباني : (غارثيلاسو ، فراي لويس ، سان خوان ، غونغورا، كيفيدو، وبيكر) ، على تلك القاعدة ، تطاول الشعر الحديث ، بقوة ، ونفة ، ومعيار نابت خالد.

وبين الشعراء الحاليين ، الذين سادوا في هذا المضمار ، نلمح وجه «خيراردو دييغو» Gerardo Diego . وهو شاعر غني ، ذو حس مرهف بالجمال . وان كان يقتفد نوعا ، الى العنصر التأثري ، والاحتكاك الدرامي باعمق حقائق الحياة ، فهو ، فوق كل هذا ، صاحب عمل فني من الشفافية المدهشة ، يتحول فيه العالم الى انقى قيمه الجمالية :

الحياة مثل برج
والشمس حمامة .
لنرم القمصان المبسوطة كي تطير
نحو البيانو في الاعلى .
لنخط بالاقدام الندية لكل نهار ...
الحياة برج
ينمو كل يوم فوق مستوى البحر .

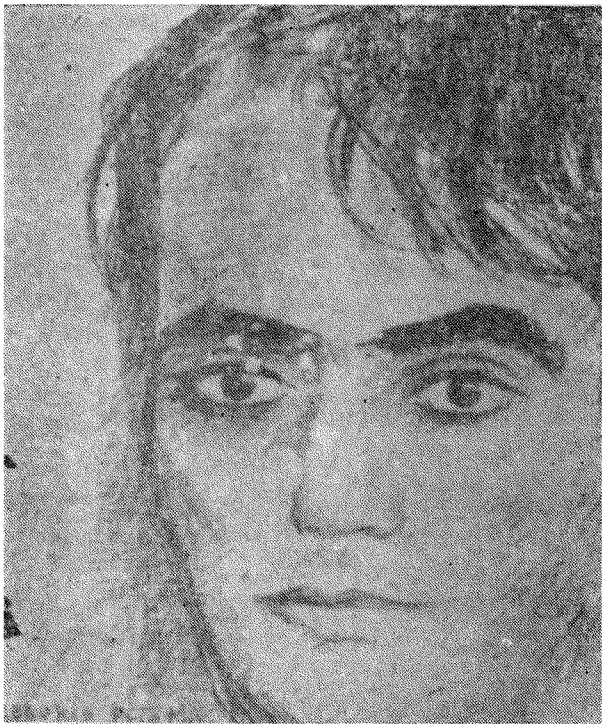

فيديريكو غارثيا لوركا : Federico Garcia Lorca

اما لوركا فهو اكبر الشعراء الاسبانيين في القرن العشرين ، وابعدهم شهرة في العالم كله تقريبا . وقد ارجع بعضهم هذه الشهرة الى ميتته المأساة ، في الحرب الاهلية، لكن تأكد بعد تتابع السنين ، انها ذات اساس مكين ، من العطاءات الرفى ، التي لا يحظى بها ادب الا في الندرة .

في عمله الاول : (كتاب القصائد ، واغان) ننشق نفس « خيمينث » وانما في استعمال رمزي وتأليفي جديد للكلمات :

« الطفل يفتش عن صوته .
(اخذه ملك الجنادب .)
في نقطة ماء
كان الطفل يفتش عن صوته .

***

لا اريده لاحكي .
فانا سوف اصنع منه خاتما
يحمله صمتي
في اصبعه الصغيرة

***

في نقطة ماء
كان الطفل يفتش عن صوته .
(وكان الصوت السجين ، في البعيد ،
يلبس ثوب جندب .)

قصيدة (الطفل الابكم)

اما الايقاع الخاص ، فقد اهتدى اليه لوركا منذ « اغان غجرية » . هنا النغمة الدرامية في اسمى معانيها ، مسبوكة في فيض من الصور المفتنة ، المفلوعة من الجو الخفي والمأساتي للعالم الاندلسي :

« الحاكم ، والحرس الاهلي
يقدمون عبر حقل الزيتون .
الدم المسفوح يزفر
باغنية افعى صامتة :
ـ يا سادتي ، رجال الحرس الاهلي
هذه هي قصتنا ، ابدا هنا :
اربعة رومانيون ، وخمسة
من قرطاجنة ، ماتوا
من قصيدة (مقاتلة)

وفي مجموعته « الشاعر في نيويورك » اعتمد لوركا ، الصيغة السريالية ، ليعبر عن كرهه الصارم ، لمدنية اميركا الشمالية . فاضاف باشعاره الى هذه المدرسة ، مدماكا عاليا ، هو منها بمنزلة قطعة من رئة .

ان اثار هذا الشهيد ، الحاوية على الصفية الارستوقراطية والشعبية في الوقت ذاته ، تختلف عن سائر نفثات عصره ، برموزها الملونة البارقة ، ودراميتها القاسية في رؤيتها للعالم الاندلسي ، هذا العالم الذي كان يسعى ، في جبين لوركا ، رهن القلق والمأساة . اضف الى ذلك ، تلك الغنائية الفائضة الوريد في بطون الارض الاسبانية ، في قصائده ومسرحياته الشعرية على السواء.

رافايل ألبرتي : Rafael Alberti

يتردد « البرتي » بين التهكم والتمزق ، بين الشعبي والتصفية الارستوقراطية ، في تفنن شكلي قادر على انجاز اصعب الحركات باحسن البداهات . انما شعره ، مع طيبته

وقسوته ، بقي بعيداً عن التأثـــر الصحيح الصادر من القلب . فهو من هذه الناحية ، يذكرنا بفن « غونغودا » في القرن السابـع عشر .

على أن انتاجه بعد الحرب ، يشير الـى غنى في مجال الشعور الانساني ، والى يأس حزين وحنين رقيق الى ارضه ، اثناء اقامته في اميركا :

من على شرفة ينظر انسان
الى الريح التي تجيء وتروح .
الى الوديان المتحركة
للريح التي تجيء وتروح .
الى احصنة ، مثل حجارة
للريح التي تجيء وتروح .
الى مراع ، كبحر اخضر
للريح التي تجيء وتروح .
الى نهر ، كذنب طويل
للريح التي تجيء وتروح .
الى مراكب ، كدروب
للريح التي تجيء وتروح .
الى انسان ، كظل
للريح التي تجيء وتروح .
الى سماء ، كمسكن
للريح التي تجيء وتروح .
انه ينظر وينظر
فلا يجد غير وحدته .

قصيدة (مستحم في نهر بارانيا)

خورخي غيين : Guilleèn

انه صرخة حماس امام مشهد الكائنـات العجيب ، امام حضورها المختلط ، في عنف من التعبير الذهني ، الدقيق والصحيح ، للفرح في الوجود ، والتأمل في ارتعـاش الاشياء المشع .

عند « غيين » الكمال ، مرادف للوجود . ولذا فالاتصال بالواقع ، لا ينتج صدمةمؤلمة. وانما ينقلب احساسا بالامتلاء والهتافالفرح. وعند « غيين » تختفي كل العناصر الزخرفية التي حبلت بها « التجديدية » ، من موسيقى، وتلوين ، وحادثة ... لتظل فقط ، غنائيـــة مؤثرة صافية .

لويس ثرنودا : Luis Cernuda

في شعر « ثرنودا » كله ، يمثل انطباع شرعي صريح . فالصورة المحترزة من كل ابهام وعدم الدقة ، تستجيب لحقيقةشعرية حسية. والشعور،علة الإدراك الاخيرة لوجود القصيدة، يتراءى لا كحجة يعتليها بناء بياني جميل ، بل كانعكاس لانفعال رثائي معاش بكثافة .ومن هنا ، كان ذلك الثقل النوعي لاشعاره،التي تقدم لنا بشكل غاضب فائر او حزين عذب، عاطفته السوداوية :

انت ، ايتها الحقيقة المتوحدة ،
والبغية الشفافة ، يا عزلتي ابدا ،
انت عناق بلا انتهاء .
ما الشمس والبحر ،
الظلمة ، والبور من الارض ،
الانسان ورغبته ،
والجمهور الثائر ، لولاك انت ؟
لاجلك يا عزلتي ، بحثت عن الجميع يوما .
ولاجلك يا عزلتي ، احب الجميع الان .
(مقطع من ــ الحقيقة والرغبة ــ)

فيثنتي أليكسندري :

Vicente Aleixandre

تسنم « اليكسندري » بين سنـوات الاربعين والخمسين سدة من الاكبار كالتي تسنمها « خيمينث » بين الشعراء المعاصرين. لقد عد من احر الحناجر واكثرها انسانية ، في غناء عرف ان ينقل بقوة ، الانتفاضات الاصلية للحب والحياة ، ورؤيته الدينامية والرومانتية للعالم .

الوحدة تلمع في العالم بغير الحب .
الحياة قشرة نشيطة ،
جلد خشن جامد ،
لا يستطيع الانسان ان يلقى فيه راحته
مهما اجهد حلمه وراء نجم مطفأ ...

من (الخراب او الحب)

اما «بيدرو ساليناس» Pedro Salinas (مات عام ١٩٥١) فهو شاعر الحب لهـذا الجيل من الشعراء . غير ان شعره خال من الرموز اللالاءة ، والتنميق البياني . اذ كان يرى كما في عبارة له ، ان الامانة في الشعر فوق كل شيء ، ومن بعد ، الجمال .

و « دامسو الونسو » صيحة قلق وغضب، يجرحها بعمق ، احساس مفجع بالحياة : «ان ما يهمني اليوم ، هو قلب الانسان ، وان اعبر بألمي وأملي ، عن المشتهى او القلق في قلب الانسان الخالد . » هذه رسالة « الونسو » بلسانه .

***

بعد هذا الرعيل من المهرة ، جاء اخر،دعي « برعيل عام ١٩٣٥ » ، دون ان يكون بينهما كبير فرق ، غير شيـــوع التشبيه المباشر والمضمون الذاتي للشاعر ، ومشاكلهالداخلية، كالعاطفية ، والعائلية والدينية .

من هذا الرعيل ، برز شاعر كبير كـــان راعيا في بلدته « اوريولا » اسمه « ميغيـل ارناندث » Miguel Hernàndez

انه موهبة متوقدة ، تختلف عن لداتها من بعض نواح ، لا من حيث منبتها الريفيالواهن، او تطورها اللاحق الايديولوجي في مدريـد، الذي امتاز باشتراكه في الحرب الاهلية ، وموته سجينا ، سنة ١٩٤٢ ، في «اليكانتي». وانما بالصفة العامة ، لغنائيته ، المغلفـــة بشعلة من السورة العاطفية ، المطابقة لبيان وثاب رفيع .

العالم الشعري لهذا الراعي السارق ناره من فم الصاعقة ، هو ــ مثل كل شاعر حق ــ عالم متغير القسمات .

كل اعماله ، ليست سوى قلب شعري ، للواقع المخيف ، القاسي والحامز ، في بداهة انضجها السجن والالم والموت :

ادعو نفسي الوحل ، وان دعيت ميغيل .
الوحل مهنتي وقدري ،
وحين يلصق يترك القذر .
انا آلة الدرب الحزينة .
انا لسان من العار الهادىء ،
مبسوط على اقدام من أعبد .

***

مثل ثور ليلي من الماء والبور ،
يريد أن يكون مخلوقا معبودا ،
اهاجم احذيتك ، وجوارها .
واقبل عقبك ، وازرعه بالزهور ،
عقبك المصنوع من الطنافس ، والمصنوع من القبل،
عقبك الذي يشتمني .

من قصيدة (ادعو نفسي الوحل)

***

ومن الشعراء الشباب الذيـــن ينتكبون مستقبل الشعر الاسباني ، «رافايل مورالس» و « خوسي بيرو » ، في رومانتية جديدة ، للوضع البشري ، وحماسة التفكير والشعور الوجودي الحاضر . و « بلاس دي اوتيرو » كاحسن نموذج للهم الاجتماعي والوطني ، في وتر صاف للقلق الذاتي .

بيروت **هنري فريد صعب**

لجميع مطبوعاتكم راجعوا مطابع :

دار الندى للطباعة والنشر

بيروت ــ تلفون ٢٢٢٩٢١